مفردات الفرد ومفردات الأمّة (المتن، الرصيد)

دراسة في الفروق

1/ المتن:

تحمل مادة (متن) في اللغة معاني الصلابة والشّدّة والظهور؛ فقد ورد: المتن من كلّ شيء: ما صلب ظهره، وما ظهر منه. ومتن المزادة: وجهُها البارز. والمتن: ما ارتفع من الأرض واستوى، وقيل: ما ارتفع وصلب. والمتن: ما بين كلّ عمودين، والتّمْتين خيوط تشدّ بها أوصال الخيام. والمتن: الظهر، ومتن الرّمح والسّهم: وسطهما. ورجل متن: قويّ صلب. ووتر متين: شديد. والمتانة: الشّدّة والقوّة.

أمّا اصطلاحا، فقد استخدم بعض العلماء قديما وحديثا مصطلح (متن اللغة)، بمعنى دراسة دلالة المفردات اللغوية . من ذلك يقول ابن يعقوب المغربي(ت1128هـ):"عِلْم متن اللغة، أيْ معرفة أوضاع المفردات اللغويّة، ويسمّى هذا العلم علم المتن، لأنّ المتن هو ظهر الشيء ووسطه وقوّته، وهذا العلم تعلّق بذات اللّفظ ومعناه". وقسّم حسين المَرْصَفي (ت1889م) العلومَ العربية إلى علم متن اللغة، علم الصرف، علم النحو... وغيرها. ويرى أنّ علم متن اللغة يبحث في أوضاع الألفاظ لمعانيها، أيْ هو ـ عنده ـ معرفة المعاني الحقيقيّة للألفاظ. ولأحمد رضا العاملي (ت1953م) معجم سمّاه: متن اللغة العربية.

2/ الرصيد:

ورَد في اللسان: رصَده يرْصده رصْدا: يرقبه، والتّرصُّد: التّرقّب. والرّصيد: السّبْعُ الذي يرْصد لِيَثب. والرَّصْد: القوم يرصدون كالحرس، وأرْصَدَ له الأمر: أعدّه. والإرصاد: الانتظار. والمَرْصد والمِرْصاد عند العرب الطريق. وقيل: هو المطر يقع أوّلا لما يأتي بعده، وقيل: هو أوّل المطر. والرَّصْدة: الدّفعة من المطر. وأرض مرصدة إذا كان بها شيء والرَّصَد: القليل من الكلإ والمطر.ومنه فمادة (رصد) تحمل معاني التّرقّب والإعداد والانتظار والطريق والجزء والدّفعة.

3/ مفردات الأمة ومفردات الفرد ومفردات الكتاب:

على صعيد الفرد؛ يزداد حجم الرصيد المعجمي للفرد بحسب اتّساع ثقافته ومعارفه وعلاقاته. ومن جهة أخرى، هو لا يحتفظ بكلّ المفردات التي اكتسبها، إنّما يحتفظ بالمفردات التي يستعملها باستمرار. والمتكلّمون بلغة مَا لا يملكون الرصيد المعجمي نفسه، إنّما يتفاوتون في معرفة مفردات لغتهم واستعمالها.

أمّا على صعيد الأمّة، فإنّ كلّ أمّة تتدرّج في بناء معجم لغتها؛ فالمعجم يكبر وينمو ويتطوّر بحسب حاجتها. ومعجم الأمة تحدث فيه تغيرات باستحداث مفردات جديدة تقتضيها حاجتها، وبإهمال قسْط من المفردات القديمة التي لم تعد تدعو حاجة إلى استعمالها. ولا يمكن لفرْد من أفراد الأمة عبر تاريخها، أنْ يدّعي امتلاكه معجم لغته.

ومن خلال ما سبق، يظهر أنّ علاقة الفرد بمعجم لغته، تُماثل علاقة الأمة بمعجم لغتها؛ بناء وتطوّرا وتملّكا. فمعجم اللغة ليس كتابا مغلقا، له بداية ونهاية وواضعه معلوم، وإنّما هو رصيد مفرداتي مفتوح يُتدرّج في بنائه وتطويره، يغتني باستمرار، ويصبح مِلكا جماعيّا للأمة، ولجميع أبنائه مثله مثل الوطن، دون أن يدّعي أحد منهم ملكيته بمفردته.

ويرى إبراهيم بن مراد أنّ البحوث اللغوية الحديثة ميّزت بين مفهومين:

الأوّل: "المجموع المفترض واللّامحدود من الألفاظ التي تملكها جماعة لغويّة معيّنة بكامل أفرادها، وهو ما اصْطلح اللّسانيون على تسميته Lexique ".

الثاني: " مجموعة من الألفاظ المختارة المرتّبة في كتاب ترتيبا معيّنا مع معلومات لغويّة أو موسوعيّة عنها وهو ما أُصطُلِح عليه Dictionnaire".

وقد حاول اللغويون العرب المعاصرون الاستفادةَ من اللفظين المترادفين(معجم) و(قاموس)، فخصّ المفهومَ الأوّلَ بكلمة (معجم)، وترك كلمة (قاموس)للمفهوم الثاني. ومن جهة أخرى، ميّزت بين مجموع المفردات الموجودة في معجم من المعاجم وبين الثروة اللفظيّة للفرد من الأفراد. ومعلوم أنّ رصيد الفرد الواحد من المفردات يقلّ بكثير عن مفردات معجم متوسط مهْما كانت ثقافة ذلك الفرد، كما تقلّ مجموع مداخل المعجم مهما كان كبيرا عن مجموع المفردات المفترض الذي تمتلكه الجماعة اللغويّة.

4/ **تطبيق**:

حلّل النص، بتبيين أفكاره وآراء صاحبه فيه.

يقول إبراهيم بن مراد: ما يسمّيه العرب المعجم هو في الحقيقة قاموس. فالمعجم هو الرصيد العام الشّامل الذي يشتمل على كلّ ما عرفَتْه اللغة العربية من وحدات معجميّة منذ أقدم العصور إلى اليوم. ونحن نعرف منه المُدَوَّن في النصوص فقط، أي ما أتانا. هناك ملايير أُستُعملت في العربية لكنّنا لا نعرفها لأنّها لم تُدوّن. هذا الرصيد العام الشّامل لا يمكن حصره ، لكن يُمكن أنْ نأخذ منه قسْما أو جزءا فنَضَعَه في كتاب. فالكتاب الذي نضعه مثل (لسان العرب) (رغم أنه سمّاه لغة العرب)لا يمكن بأيّ

حال أنْ يحصر كلّ اللغة العربية، وكلّ وحدات المعجم في اللغة العربية، وأيّ قاموس مهْما يكن مؤلّفه مستوْعبا، لا يمكن أنْ يستوعب كلّ ما في اللغة من وحدات لغوية. هذا الرّصيد العام الشّامل الذي لا يمكن أنْ يُحْصَر، نسمّيه (معجما)، وهذه الوثيقة المشتملة على جزء من المفردات هي التي نسمّيها (قاموسا).

تحليل النص وأهمّ أفكاره:

1/ مصطلحات النص: ميّز ابن مراد بين مصطلحين اثنين، هما:

أ/ المعجم:

هو الرصيد العام الشّامل الذي يشتمل على كلّ ما عرفَتْه اللغة العربية من وحدات معجميّة منذ أقدم العصور إلى اليوم. والمعجم رصيد لا يُمكن حصْره .

ب/ القاموس:

هو القسم أو الجزء الذي نأخذه من الرّصيد العام الشّامل (المعجم)، ونَضَعَه في كتاب. فالقاموس كتابٌ مشتملٌ على جزء من المفردات.

2/ أفكـار النص:

• ما يُطلق عليه العرب « معجما»، يسمّيه ابن مراد « قاموسا».

• هناك ملايير المفردات اُستُعملت في اللغة العربية عبر تاريخها، لكنّنا لا نعرفها، لأنّها لم تُدوّن، وما نعرف من مفردات هو المدوّن في النصوص فقط.

• الكتاب الذي نضعه مثل (لسان العرب)،لا يمكن أنْ يحصر كلّ اللغة العربية، وكلّ وحدات المعجم، وأيّ قاموس مهْما يكن مؤلّفه مستوْعبا، لا يمكن أنْ يستوعب كلّ ما في اللغة من وحدات لغوية.